

## الهيكل

تالله... ما أجمل أن يُمسي المرء عاريًا، مُتحررًا من كل شئٍ يحول بينه وبين أن يفعل ما يشاء وقت ما يشاء.  
الآن أنا سيد نفسي، لا أنكر أنني كنت عبدًا مطيعًا لذلك الكائن الغبي، أركض إلى حيث يُريد، وأحط رحلي في المكان الذي يشتهيهِ.

فكرت كثيرًا أن أتمرد على حمقه وأوامره المُجحفة، إلا إنني ولأنني قارئٌ جيد للتاريخ، لا أنسى ما حدث ل " سبارتاكوس "، ولا طاقة لي لتحمل ما تحمّله " طومان باي " حين عُلق لشهورٍ تنهشه الغربان، فلذت بالصبر وتجرع المرارة في صمت.

لا أنكر إنني تمردت عدة مرات طيلة عمره القصير، إلا إنها كانت في غفلةٍ منه، حين يشرد ذهنه ويطول مكوثه، وعندما ينهض أتلاعب به كيفما أشاء، فلا يستقر على وضع حتى أفقده توازنه، ولغبائه لم يشك بي لحظة، وإنما كان يعزو الأمر لأشياءٍ أخرى.

مات سيدي، فكانت فرصتي الأولى والأخيرة كي أتسم عبير حريتي الأبدية، ضُمتُ لقوافل أحرار سبقوني، في البداية اشمازوا مني وسدوا أنوفهم، فقد كان بي بعضٌ من بقايا سيدي ورائحته النتنة.

ذات ليلةٍ فاجأني كبيرهم قائلاً: مرحبًا بك بين أقرانك صمت برهةً من الوقت ثم أردف في لهجةٍ صارمة:  
عليك أن تفهم أن الحرية المطلقة مفسدةٌ مطلقة، لذا فقد استننا

قوانيننا الخاصة بنا، ولأن الحركة كانت من أهم مظاهر عبوديتنا، فإن عدمها هو أهم مظهر لحریتنا، ولأن سادتنا كانوا ثائرة، فإن حديث الصمت هو دأبنا ومسلكتنا، كدت أن أهز رأسي إيجاباً، إلا أنني تذكرت مقولته فأحجمت، واضجعت على جانبي الأيمن، ومن عيني يبرز سؤال عن هسيس يتنامى إلى من داخل غرفة صغيرة ملحقة بالبهو الكبير، الذي نُضج جميعاً فيه، لم انتظر كثيراً لأعرف الإجابة، بادرني ليس الآن.... ستدخلها عندما يستبد بك الشبق.

شبق؟!.. أي شبق هذا وأنا لا أشعر برغبة في أي شيء سوى الإضطجاع ، وتأمل الصمت المحيط !

بعد عدة ليالٍ بلغني ما أثلج صدري، قيل لي أن حبيبتيك أخيراً نالت حریتها، فقد ماتت سيدتها حزناً على وفاة زوجها، فانتظرت بشغفٍ وشوقٍ قدومها إليّ، إلا أنني تفاجأت بها في البهو المجاور لبهونا، ولا وسيلة أجيدها لاختراق الجدار الفاصل بيننا، شيئاً فشيئاً تستبد بي الرغبة، وتشتعل جوانحي شبقاً للقياها، حتى بتُ لا أتذكر آخر لقاءٍ حميمي بيننا، كيف السبيل إذن لإفراغ ما ينوء بحمله كاهلي؟!... اختلست نظرة إليهم، يا إلهي.. هم أيضاً يطفق الشبق منهم كوميض البرق في خلاياهم، يكاد الجوع يتقاذفهم، إلا أن القوانين المُقيدة لحركتهم تمنعهم، وفجأة يتسلل إلى البهو يصيص ضوء، يتزايد، يتبعه ظل ذلك الكائن الغبي، وهو يدلف إلى بهونا، وينحني يللمم فيهم ويضعهم في الغرفة الضيقة، المح خلسةً ابتساماتهم تكاد تتفلت من عقالها، بينما يزداد ذعري وأنا أحاول جاهداً ألا يصلني هسيسهم الشبق.

\* \* \*